مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الثاني - العدد الثاني

ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢١هـ
(يوليو - سبتمبر ٢٠٠٠ م)

- التواصل اللغوي من خلال النص القرآني.
- ألفاظ النبات التي ذكرها عرام.
- المرقاه في إعراب لا إله إلا الله.
- مسألة نحوية لأبي بكر بن العربي.
- مع المعجم الكبير.
- العروض.. المشكلة والحل. التتمة.
- كتاب «تحليل النص النحوي».

٩/٥-٢

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

هيئة التحرير
صالح بن حسين العايد
صالح بن سليمان العمير
عبدالرحمن بن محمد العمار

مدير التحرير
سيف بن عبدالرحمن العريفي

عنوان المراسلة
مجلة الدراسات اللغوية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية
فاسوخ ٤٦٥٩٩٩٣
Journal of Lingustic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543
Saudi Arabia
Fax: 4659993

ردمد: ١٣١٩-٨٥١٣
الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المحتويات

• التقديم ٥
• التواصل اللغوي من خلال النص القرآني
رشيد بلحبيب ١١
• ألفاظ النبات التي ذكرها عرام
جمعان بن ناجي السلمي ٣٥
• المرقاه في إعراب لا إله إلا الله
رياح اليمني مفتاح ١٠٥
• مسألة نحوية لأبي بكر بن العربي
حياة قارة ١٨٩
• مع المعجم الكبير
إبراهيم السامرائي ٢٠٩
• العروض.. المشكلة والحل. التتمة
محجوب موسى ٢٣٣
• كتاب «تحليل النص النحوي»
وليد محمد السراقبي ٢٥٥

المجلد الثاني ـ العدد الثاني ـ ربيع الآخر ـ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ / يوليو ـ سبتمبر ٢٠٠٠م

الهيئة الاستشارية للتحرير:

* أمين عبدالله سالم — أستاذ النحو كلية اللغة العربية المنوفية.
* حسن شاذلي فرهود — أستاذ النحو سابقاً في جامعة الملك سعود.
* سليمان بن إبراهيم العايد — أستاذ علم اللغة جامعة أم القرى.
* عبد العلي الودغيري — أستاذ اللغويات جامعة محمد الخامس.
* عبدالله الطيب — رئيس مجمع اللغة العربية السودان.
* عبدالله بن حمد الخثران — أستاذ النحو جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
* علي أبو المكارم — عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة.
* عياد بن عيد النبيتي — أستاذ النحو جامعة أم القرى.
* محمد بن حسن باكلا — أستاذ علم اللغة جامعة الملك سعود.
* محمد رشاد الحمزاوي — أستاذ اللسانيات كلية الآداب الجامعة التونسية.
* محمد علي سلطاني — أستاذ النحو سابقاً جامعة دمشق.
* محمد بن يعقوب تركستاني — أستاذ علم اللغة الجامعة الإسلامية.
* محمود فهمي حجازي — أستاذ علم اللغة كلية الآداب جامعة القاهرة.
* إبراهيم بن سليمان الشمسان — أستاذ النحو المشارك جامعة الملك سعود.
* عثمان بن محمود صيني — أستاذ النحو المشارك كلية إعداد المعلمين الطائف.

ضوابط النشر:

١. أن يكون البحث ضمن اختصاصات المجلة، وهي: الدراسات النحوية والتصريفية واللغوية واللسانية والعروضية.

٢. ألا يزيد البحث على ثمانين صفحة.

٣. ألا يكون البحث منشوراً، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٤. أن يكون البحث مطبوعاً على ورق (A4).

٥. دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.

٦. أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.

٧. أن يكون البحث باللغة العربية.

٨. أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.

٩. أن يقدم الباحث من بحثه ثلاث نسخ وملخصاً له.

١٠. لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت أم لم تقبل.

تخضع البحوث التي تقدم إلى المجلة للفحص العلمي من قِبل متخصصين ترشحهم هيئة التحرير

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

كَانَتِ الْفُصْحَى تَشِيعُ بَيْنَهُم سَهْلَةً مُّبِينَةً

الْفُصْحَى ـ كَالإِسْـلامِ ـ صَالِحَةٌ لِّكُلِّ زَمَانٍ وَمَكانٍ وَشَأْنٍ؛ فَهِيَ لُغَةُ حَـيَاةٍ؛ كَمَا هِيَ لُغَةُ الدِّرَاسَاتِ وَالْعُلُومِ، وَهِيَ لُغَـةُ تَخَاطُبٍ وَتَعَامُلٍ فِي جَمِيعِ شُـؤُونِ الحَيَاةِ؛ كَمَا هِيَ لُغَةُ الْكِتَابَةِ والتَّأْلِيفِ، وَهِيَ لُغَةُ الْخَاصَّـةِ؛ كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَامَّةِ؛ فَلا تَنْعَزِلُ عَنْ أَحَدٍ؛ مِّنْ أَيِّ مُسْتَوًى وَطَبَقَةٍ وَعُمْرٍ، وَلا تَتَأَبَّى عَلَى أن تَكُونَ لُغَتَهُ الْيَوْمِيَّةَ؛ فِي مَنْزِلِهِ وَسُوقِهِ وَنَادِيهِ وَعَمَلِهِ؛ فِي حَالِ جِدِّهِ وَحَالِ هَزْلِهِ.

إِنَّ الفُصْحَى لُغَـةٌ حَيَّةٌ تَتَنَامَى فِي أَلْفَاظِهَـا وَأَسَالِيبِهَا؛ وَلَهَـا قُدْرَةٌ ذَاتِيَّةٌ عَلَى أن تُوَاكِبَ مُسْتَجِدَّاتِ الْحَيَاةِ، وَمُتَغَـيِّرَاتِ الْفِكْرِ؛ مِن خِلالِ مَوَادِّهَا الْمَهْجُورَةِ وَالْغَرِيبَةِ وَالنَّادِرَةِ، وَفِيهَـا مِن ذَاتِهَا، وَخَصِيصَتِـهَا الاشْتِقَاقِـيَّةِ، وَطَبِيعَتِهَـا الْمَرِنَةِ، قُدْرَةٌ لا حُدُودَ لَهَا عَلَى التَّطْوِيرِ وَالتَّوْلِيدِ، وَالتَّعْرِيبِ والاقْتِرَاضِ.

* * *

وَلَكِنَّ الْفُصْـحَى ـ كَالإِسْلامِ أَيْضـاً ـ تَقْوَى بِقُوَّةِ أَهْلِهَـا، وَتَضْعُفُ بِضَعْـفِهِمْ؛ وَضَعْفُ أَهْلِ الْفُصْحَـى ـ فِي الأَزْمِنَةِ الْمُتَأَخِرَةِ ـ هُوَ الَّذِي أَدَّى إِلَى ضَعْفِـهِم فِيهَا؛ حَتَّى كَادَتْ تَنْعَزِلُ عَنْ حَيَاتِهِم الْيَوْمِيَّةِ، وَتَحِلُّ الْعَامِّيَّاتُ فِيهَا مَحَلَّهَا، وَكَادُوا يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الازْدِوَاجَ اللُّغَوِيَّ فِيهِم ـ الْيَوْمَ ـ أَمْرٌ مَّقْبُولٌ.

بَلْ بَلَغَ الضَّعْفُ بِنَا حَدّاً انْسَاقَ مَعَهُ بَـعْضُنَا وَرَاءَ مَن ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْعَامِّيَّاتِ إِنَّما هِيَ تَطَوُّرٌ وَتَقَدُّمٌ لُّغَوِيٌّ تَفْـرِضُهُ الْقَوَانِينُ اللُّغَوِيَّةُ؛ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي مَـصِيرِ كُلِّ لُغَةٍ؛

لأنَّ اللُّغَـةَ ـ عِندَهُمْ ـ ظَاهِرَةٌ اجْتِـمَاعِـيَّةٌ تَتَـعَرَّضُ لِلتَّـغَيُّـرِ الدَّائِمِ؛ بِفِعْلِ تَـفَاوُتِ الْمُتَكلِّمِينَ بِهَـا فِي اسْتِعْمَالِهَـا؛ وَلا يَمْلِكُ أَحَدٌ رَدَّهُ؛ وَعَلَيْهَا قَـامَتْ فِكْرَةُ الثُّنَائِيَّةِ؛ الَّتِي تَتَلَخَّصُ فِي التَّـفْرِقَةِ بَيْنَ اللُّغَةِ وَالْـكَلامِ، وَفِكْرَةُ تَشْبِيهِ الـلُّغَةِ بِالْكَائِنِ الْحَيِّ؛ الَّذِي يُولَدُ وَيَتَرَعْرَعُ وَيَشِبُّ وَيَكْتَهِلُ وَيَمُوتُ.

* * *

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الازْدِوَاجَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فِي أَهْلِ الْفُصْـحَى؛ فَعَامِيَّاتُهُمْ ـ خِلافاً لِّما قَدْ يَكُونُ فِي غَيْرِهِمْ ـ تُعَـدُّ تَقَهْقُراً وَانْحِطاطاً لُّغَوِيّاً فِيهِمْ؛ لأَنَّهَا تَبْـتَعِدُ ـ بِالتَّحْرِيفِ فِي أَصْوَاتِهَا أَوْ بِنْيَتِهَا، وَبِالتَّغْيِيرِ فِي تَرْكِيبِهَا أَوْ دَلالاتِهَا ـ عَنْ أُصُولِهَا الْمُعْتَمَدَةِ.

وَمَادَامَتِ الْفُصْـحَى أَضْحَتْ لُغَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَوِعَاءَ الْمُـسْلِمِينَ الْحَضَارِيَّ، وَرَابِطَةً مِّن رَّوَابِطِهِم الْقَوِيَّةِ فِي الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُـسْتَقْبَلِ ـ فَلا يُمْكِنُ، بِحَالٍ، أَن يُتْرَكَ الْحَـبْلُ عَلَى غَارِبِهِ لِلْمُتَكَلِّمِينَ بِـهَا؛ لِيَخْرُجُـوا عَلَى أُصُولِ الْفُصْـحَى بِمَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِم مِّن اسْتِـعْمَالاتٍ حُرَّةٍ غَيْرِ خَاضِعَةٍ لِّقُـيُودٍ مُّحْكَمَةٍ؛ بِدَعْوَى أَنَّ الأَصْلَ هُوَ أَن نَدَعَ النَّاسَ يُعَبِّـرُونَ عَنْ أَشْيَائِهِم بِمَـا يُحْسِنُونَ مِنَ الْعَامِّيَّـاتِ؛ لأَنَّهَا مَأْلُوفَةٌ مَّأْنُوسَةٌ، قَرِيبَةٌ إِلَى وُجْدَانِهِم، سَهْلَةٌ؛ يَتَلَقَّونَهَا مِن غَيْرِ كَلَفَةِ تَعَلُّمٍ!

* * *

وَلا طَرِيقَ إِلَى عَدِّ الْعَامِّيَّاتِ ـ فِي أَهْلِ الْفُصْحَى ـ بِجَانِبِ الْفُصْحَى أَمْراً طَبَعِيّاً؛ فَالْفُصْحَى وَاحِدَةٌ؛ وَهِيَ مُوَحَّدَةٌ نَمُوذَجِيَّةٌ مُّخْتَارَةٌ، مُّقْتَرِنَةٌ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَخَالِدَةٌ بِخُلُودِهِ؛ وَبِهِ لَمْ تَعُدْ لُغَةً كَسَائِرِ اللُّغَـاتِ؛ فِي خُرُوجِهَا مِن دَائِرَةِ لُغَةِ جِنْسِ الْعَرَبِ إِلَى لُغَةِ كُلِّ مَن يَدِينُ بِالإِسْـلامِ، وَمِن كَوْنِهَا لُغَةَ سَلِيـقَةٍ إِلَى لُغَةِ اكْتِـسَابٍ، وَفِي اسْتِقْرَارِهَا وَثَبَـاتِهَا عَلَى أُصُولِهَا، وَفِي سَعَتِـهَا وَمُرُونَتِهَا عَلَى التَّعْبِـيرِ عَن حَاجَاتِ أَهْلِهَا فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَكَانٍ وَحَالٍ.

وَفي إِمْكَانِ دَحْرِ الْعَامِّيَّاتِ مِن جَانِبِ الْفُصْحَى ـ عَلَى ضَعْفِنَا الْيَوْمَ ـ أَقُولُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْفُصْحَى خَضَعَ لَهَا ـ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ـ كَثِيرٌ مِّن لُّغَاتِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ الْفِصَاحِ؛ وَهِيَ مَا هِيَ فِي الْعُلُوِّ وَالْقُوَّةِ وَالأَصَالَةِ؛ بِحَيْثُ إِنَّهَا تَسَاوَتْ ـ عِندَ جُمْهُورِ عُلَمَاءِ الْفُصْحَى ـ مَعَهَا؛ فَيَلْزَمُ أَن يَخْضَعَ لَهَا أَيُّ مُسْتَوًى لُّغَوِيٍّ آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْفُصْحَى انْتَشَرَتْ ـ فِي الإِسْلامِ ـ فِي بُلْدَانٍ لا يَتَكَلَّمُ أَهْلُهَا الْفُصْحَى، وَوَسِعَتِ الدَّخِيلَ فِيهَا، وَعَرَّبَتْ مَا عَرَّبَتْ مِنْهُ، وَأَلْبَسَتْهُ لِبَاساً عَرَبِيّاً، وَمَنَحَتْهُ الشَّرْعِيَّةَ وَالثَّبَاتَ إِلَى الْيَوْمِ؛ فَأَيْسَرُ لَهَا أَن تَنْتَشِرَ فِي بِيئَاتٍ عَرَبِيَّةٍ يَتَكَلَّمُ أَهْلُهَا ـ مِنَ الْعَوَامِّ وَغَيْرِهِم ـ عَامِّيَّاتٍ فِيهَا طَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِّنَ الْكَلِمَاتِ الْفِصَاحِ.

* * *

وَلِكَيْ نَتَكَلَّمَ الْفُصْحَى وَحْدَهَا؛ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ، وَفِي دِرَاسَاتِنَا وَعُلُومِنَا، وَفِي تَخَاطُبِنَا وَتَعَامُلِنَا، وَفِي تَخَاطُبِنَا وَتَعَامُلِنَا، وَفِي كِتَابَتِنَا وَتَآلِيفِنَا جَمِيعاً ـ نَنْتَظِرُ أَن تَشِيعَ هِيَ وَحْدَهَا بَيْنَنَا سَهْلَةً مُّبِينَةً؛ كَمَا كَانَتْ.

مُحَمَّد يَعْقُوب تُرْكِسْتَانِيّ

عضو الهيئة الاستشارية

أولاً : البحوث والدراسات

التواصل اللغوي من خلال النص القرآني

(قراءة في لغات القرآن)

رشيد بلحبيب

الأستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الأول ـ المغرب

مدخل

ليس غريباً أن يرتبط مصطلح التواصل باللغة ارتباط تلازم، لأن الوظيفة الأساس للغة وظيفة إبلاغية تواصلية بحكم اجتماعية الإنسان وحاجته إلى غيره، وقد حصر كثير من العلماء وظيفة اللغة في التواصل، وجعلوا هذا المصلح ضمن تعاريفهم العلمية الدقيقة للغة، يقول ابن جني في "باب القول على اللغة وماهي: أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]، فقوله: "يعبر بها كل قوم" حصر للوظيفة في المجال التواصلي.

ويذهب هرمان بول[2] إلى أن الوظيفية الأساسية للغة أن تكون أولاً وقبل كل شيء وسيلة لنقل العواطف والمعلومات أو سواهما من الأمور.

وذلك أن اللغة هي العامل المشترك بين عناصر العملية التواصلية من مرسل ورسالة ومستقبل واتصال، وغني عن البيان أن هذه العناصر جميعاً حلقات متصلة متكاملة.

إن من أثر الإلطاف بالعباد -كما يقول الكفوي- حدوث الموضوعات اللغوية ليعبر كل إنسان عما في نفسه مما يحتاج إليه لغيره، حتى يعاونه عليه لعدم استقلاله به، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع لاحتياجه إلى أهل المدنية[3]، وإذا

(١) الخصائص، لابن جني ١/ ٣٣ تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي ١٩٥٢م.

(٢) نحو بلاغة جديدة، د. عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، فصل البلاغة في نظرية الإعلام، ص ٨٧.

(٣) الكليات، للكفوي، ٥/ ٣٣، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، دمشق ١٩٨٢م، وانظر: البلغة في أصول اللغة، للقنوجي، ص ٩٨.

كانت اللغة أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية، فإن علماء اللغة ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما بحثوا في سبل التواصل لدى العجماوات يقول الجاحظ: "فحوائج السنانير لا تعدو خمسة أوجه منها: صيحاها إذا ضربت ولذلك صورة، وصياحها إذا دعت أخواتها وإلآفها وذلك صورة، وصياحها إذ دعت أولادها للطعام ولذلك صورة، وصياحها إذا جاعت ولذلك صورة، وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها" (١). وتلك الصور هي طرق التواصل المتبادل المفهوم لديها.

إلا أن التواصل باللغة يعد أهم وأرقى وسائل التواصل، يقول الإمام فخر الدين الرازي في هذا السياق: "إن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته، بل لابد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد، وأيسرها وأفيدها الألفاظ. أما أنها أيسر فلأن الحروف كيفيات تعرض لأصوات عارضة للهواء الخارج بالتنفس الضروري المحدد... دون تكلف اختياري، وأما أنها أفيد فلأنها موجودة عند الحاجة معدومة عند عدمها، وأما أنها أعمها فليس يمكن أن يكون لكل شيء نقش كذات الله تعالى والعلوم، أو إليه إشارة كالغائبات، ويمكن أن يكون لكل شيء لفظ، فلما كانت الألفاظ أيسر وأفيد وأعم؛ صارت موضوعة بإزاء المعاني" (٢).

يتضح من خلال هذا النص الارتباط الوثيق بين اللغة والاتصال، واعتبار اللغة أهم وسيلة في عملية التحرير لا تعني أن اللغة والاتصال مترادفان، يقول كولين: "فاللغة اللسانية ليس في كل الأحوال مرادفة للاتصال، لأن هناك الإشارات والعلامات مما يقوم بوظيفة اللغة اللسانية" (٣).

(١) الحيوان، للجاحظ، ٤/٢١، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٥م.
(٢) المزهر ١/٣٨، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، على البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.
(٣) New colin- Communication p 67. وانظر: نحو بلاغة جديدة، ص: ٥٧.

نحو مفهوم بلاغي للتواصل:

يلاحظ المتتبع لهذه الظاهرة تقارباً شديداً بين التعاريف المصوغة للاتصال والمفهوم العربي للبلاغة التي تنبئ لغة عن الوصول والانتهاء والإيصال [1]. إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[2].

وقد تنبه علماء البلاغة العربية إلى أن اللغة هي الجنس الإعلامي، وتحدثوا عن صفات المتكلم والمستقبل، وألحوا على ضرورة معرفة المتكلم (المرسل) لأقدار المعاني، والموازنة بينها وبين أقدار المستمعين (المستقبل) وبين أقدار الحالات، فجعلوا لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حال من ذلك مقاماً، حتى يقسم المتكلم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات[3]، ولعل هذا هو ما انتهى إليه علماء البلاغة في كلمتهم الموجزة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال).

وعلى هذا يمكننا أن نقول: إن نموذج البلاغي العربي في الاتصال يختلف عن كثير من النماذج التي وصفت عملية الاتصال، إذ لم يقتصر هذا النموذج على الخصائص البنائية للاتصال، أي على المكونات مثل المصدر والرسالة والوسيلة والمستقبل، بل يهتم أيضاً بالعلاقة الوظيفية التي تحكم الجوانب التكوينية، وهو يؤكد ـ كما يؤكد بارنلند ـ أن الاتصال عملية، ويركز على العلاقات الفعلية التي تدخل في ظاهرة الاتصال[4].

(١) قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، د. أميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، ١٥٤، ولسان العرب (بلغ) دار المعارف، مصر، والمصباح المنير للفيومي (وصل) ص: ٦٦٢، المكتبة العلمية بيروت.

(٢) انظر ما حكاه الجاحظ في حد البلاغة، البيان والتبيين ١/ ٨٨، تحقيق عبد السلام هارون.

(٣) الإيضاح للقزويني، ص ٧٩، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني.

(٤) نحو بلاغة جديدة، ص ٦٢ .

ارتباط التواصل بالمجال اللغوي:

لقد تقرر من الناحية المعرفية ـ استعمال مصطلح التواصل في عالم الاتصالات البريدية ـ حيث ترسل البرقيات والرسائل من جهة إلى أخرى عن طريق قناة اتصال، وشاع استعماله في مرسلات العسكرية الأمريكية المشفرة التي انتشرت إبان الحرب العالمية الثانية، وقد كانت هذه المرسلات متميزة بالاقتضاب والإيغال في الرمزية، لأن حمولتها الخطيرة السرية لا ينبغي أن يطلع عليها غير المعني بالأمر، ولما كان الأمر متعلقاً بالرسالة أو المرسلة وبدراسة رموزها وإمكانات الاختزال اللغوية فيها علق المصطلح بعالم اللغويات، وأصبحت أحق الحقول المعرفية به، ففي مجال اللغويات أخذ التواصل بُعده الاصطلاحي وشيوعه الاستعمالي.

يقول الأستاذ عبد القادر المهيري: "فإذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل فإن دراسة اللغة ينبغي أن تراعي ذلك، فكل ما يضطلع بدور التواصل ينتمي إلى اللغة، وكل ما ليس له مثل هذا الدور فهو خارج عنها" (١).

إن مشكلة هذا المصطلح مشكلة في جوهرها تتنازعها علوم البلاغة واللسانيات والإعلام والحضارة، إلا أن استعمال اللغوي للاتصال استعمال بمدلوله الاصطلاحي في حين تستعمله باقي العلوم والحقول المعرفية بمعنى هو أقرب إلى التعريف اللغوي منه إلى التعريف الاصطلاحي.

ولذلك لا عجب أن نجد عدداً من المؤلفات ـ لاصلة لها بالمجال اللغوي ـ تحمل لفظ التواصل عنواناً لها أو لبعض فصولها، كما لانعجب عندما نجد عدداً من الباحثين يدرجون بحوثهم معنونة بمصطلح التواصل بمعنى الإيصال والتوصيل، أو الإبلاغ والتبليغ.

(١) أهم المدارس اللسانية، مبحث اللسانيات الوظيفية، عبد القادر المهيري، ص : ٤٠

جنسية القرآن اللغوي:

لا جرم أن القرآن سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول[1].

والقرآن الكريم هو الشاهد اللغوي والبلاغي الرفيع، الذي لايجوز عليه بدل الغلط، وهو رسالة اجتمعت لها كل شروط المرسلة الناجحة المعجزة، رسالة من مرسل خبير عليم إلى أصناف البشر قاطبة، راعت أحوالهم وعقولهم ومقاماتهم وأفهامهم، جمع كل وظائف الاتصال التعبيرية والإعلامية والإقناعية، فكان أجدر نصوص العربية بالدرس، وأحق النصوص المنزلة بالاتباع.

ولأن الحديث عن اللغة العربية يستدعي الحديث عن القرآن الكريم، كما أن الحديث عن القرآن يستدعي الحديث عن العربية ـ إذ كلاهما يتعلق بالآخر تعلق استلزام ـ وددت أن أبحث في لغة القرآن باعتبارها شكلاً من أشكال الوحي المعجز، لأن للقرآن شكلاً ومضموناً، يتمثل مضمونه في المعاني التشريعية السامية، ويتمثل شكله ووعائه في اللغة التي تعد حصيلة دقيقة ومحكمة لعدد من اللغات فاقت الثلاثين.

وقد كان العلماء على وعي بأهمية البحث في لغة القرآن إلى درجة أن جعلوها من الدين، يقول ابن تيمية: "إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[2].

(١) انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص: ١٧، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٢٦م.

(٢) نحو وعي لغوي، مازن المبارك المقدمة.

كما ربط الإمام الشاطبي التقـدم في فهم الدين بالتقدم في فهم العلوم اللغوية، يقول: "إن الشريعـة عربية، وإن كانت عربيـة فلايفهمهـا حق الفهم إلا من فهم العربية حق الفهم، لأنهما سيان في النمط، فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة، فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة"[1].

العربية قبل نزول القرآن:

انقسم المتكلمون باللغة العربية ـ منذ أقدم عصورهم ـ إلى قبائل شتى وطوائف قدداً، تختلف كل طائفـة منها عما عداها في بيـئتها الجغـرافية وظروفها الطبيـعية والاجتمـاعية، ومن المقـرر في قوانين اللغات أنه متى انتـشرت اللغة في مـساحة واسعة من الأرض، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس اسـتحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تتشعب إلى عدة لهجات[2].

ولم تلفت اللغـة العربية، ومـا كان لها أن تفلت من هـذا القانون العام، فـقد انقسـمت منذ أقدم عصورها إلى لجـهات يختلف بعـضها عن بعض في كثـير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات.

وقد أتيح لهذه اللهجـات المتعددة فرص كثيرة للاحتكاك بفـضل التجارة وتبادل المنافع والتنقل في طلب الكلأ والتـجمع في الحج والأسواق والحـروب والمحافل، وفي كل مناسبـة من مناسبات اللـقاء هذه كانت اللغـة عنصراً أساسـاً من عناصر التواصل والاحتكاك، وكانت الأسـواق الأدبية أكثر تلك المناسبات مـلاءمة لتوطيد عرى اللغة المشتركة قصد صياغة الجنسية اللغوية للقرآن الكريم، فلما بدأت عوامل

(١) الموافقات، للإمام الشاطبي، ٥/ ١١٤، طبع بعناية عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت .

(٢) علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص : ١٦٩ .

الوحدة السياسية والثقافية بين القبائل؛ تهيأت كل الظروف لجعل مكة مركزاً لتلك الوحدة[1]، فكان من نتائج هذا الاحتكاك أن تداخلت هذه اللهجات وصارت نحو التوحد بين عامة قريش وباقي القبائل العربية.

وقد تراكمت النصوص المؤكدة لهذه الحقيقة التي عدها الشيخ الرافعي حادثة كونية، فيقول: "فلابد من التسليم بأنها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي ظهرت نتيجتها في نزول القرآن بلغة قريش"[2].

ولعل من أوضح النصوص وأكثرها إبانة عما نحن بصدده قول ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصحهم ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله ـ جل ثناؤه ـ اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً ﷺ، فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته، فكان وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم...، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"[3].

وقال ثعلب: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة هوازن وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء"[4].

(١) انظر: تفصيل هذا الأمر: لغة القرآن الكريم في جزء "عم"، محمود أحمد نحلة، ص: ٥٩. ولغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، ص: ٤٢ وما بعدها.

(٢) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: ٨٦.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، ص: ٣٣، تحقيق أحمد صقر، ط. عيسى البابي ١٩٧٧م.

(٤) مجالس ثعلب ١/ ١٠٠، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف.

ونقل في السياق نفسه ابن منظور قول قتادة: "كانت قريش تجتبي أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن بها"[1]. ولكن هذا لايعني أن هناك ترادفاً بين لغة قريش ولغة القرآن الكريم، يقول ابن عبد البر في دفع الالتباس: "قول من قال: نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي في الأغلب، لأن لغة غير قريش موجودة في القرآن من تحقيق الهمزة ونحوها، وقريش لا تهمز"[2].

أما المفاضلة بين اللهجات العربية ففي دائرة الفصيح والأفصح، لأنها كلها حجة كما يقرر ابن جني[3]، ولأن كل عربي لم تتغير لهجته ـ كما يقول المبرد ـ فصيح على مذهب قومه، وإنما يقال: بنو فلان أفصح من بني فلان، أي أشبه بلغة القرآن ولغة قريش على أن القرآن نزل بكل لغات العرب [4].

وحتى لاتتضخم صورة الاختلاف بين اللهجات العربية أجدني مضطراً إلى ذكر من أي الأوجه كان هذا الاختلاف، يقول ابن فارس في قولة جامعة ما نصُّه: "اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها الاختلاف في الحركات نحو نَستعين ونِستعين، الاختلاف في الهمز والتليين نحو: مستهزئون ومستهزون، ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: صاعقة وصاقعة، ومنه الاختلاف في الإمالة والتفخيم، ومنه الاختلاف في التذكير والتأنيث، فإن من العرب من يقول: هذه البقر وهذه النخل، ومنهم من يقول: هذا البقر وهذا النخل، ومنها الاختلاف في الإدغام نحو: مهتدون ومهدون، ومنها الاختلاف في الإعراب نحو: ما زيد قائماً، وما زيد

(١) لسان العرب، مادة (عرب)، دار المعارف.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٢٨٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ٣، ١٩٨٠ م.

(٣) المزهر، السيوطي، ١/ ٢٥٧ .

(٤) الفاضل، المبرد، ١١٣، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ١٩٥٥م.

قائم، وإن هذين وإن هذان، ومنها الاختلاف في صور الجمع نحو: أسرى وأسارى، ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل هذه أمه وهذه أمة، ومنها الاختلاف في الزيادة نحو: انظر وانظور، وكل هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، وهي وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل»[1].

وقد جاءت معظم هذه الخصائص اللهجية ممثلة في القرآن الكريم واتضحت بصورة أخص في القراءات القرآنية[2].

الأحرف السبعة ولغات القرآن:

إن معظم الذين تحدثوا عن لغات القرآن من اللغويين والمفسرين والقراء، لم يغفلوا حديث رسول الله ﷺ ـ الوارد في الصحيحين ـ "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[3].

ومع أن هذا الحديث قد أشكل فهمه على كبار العلماء ـ لأنه بأسانيده المتصلة ورواياته الصحيحة ـ ينص على الأحرف السبعة، إلا أنه ليس نصاً في كون المقصود بالأحرف اللغات أو غيرها.

أما أقوال العلماء في المراد به، فقد بلغت حداً كبيراً، ذكر القرطبي أن ابن حبان البستي أوصلها إلى خمسة وثلاثين قولاً، اقتصر هو منها على خمسة أقوال فقط أثبتها في مقدمة تفسيره[4]، وقال السيوطي: اختلف في معنى هذا الحديث على

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ص: ٢٨-٣١ .

(٢) ليس معنى ذلك أن القرآن قد قرئ بكل لحن من لحون أصحاب هذه القبائل فإن من لحونها ما هو مستكره لايتناسب مع فصاحة القرآن وجلال روعته، ولذلك فقد استبعد القرآن الكريم كثيراً من اللحون الخاصة بأصحاب تلك اللهجات كالعنعنة والكشكشة وما إلى ذلك . .

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف، ٦/ ١٠٠، دار الفكر .

(٤) مقدمة تفسير القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ م .

نحو أربعين قولاً[1].

وقد ذهب إلى تفسير الأحرف السبعة باللغات السبع جماعة من العلماء منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وثعلب وأبو العباس النحوي والكرماني وأبو حاتم السجستاني والطبري، واختاره ابن عطية في مقدمة تفسيره، ووصفه بأنه المذهب الصحيح، ونسبه ابن الجزري في النشر لأكثر العلماء[2]، ونصت على ذلك أشهر معاجم اللغة العربية، ففي لسان العرب: نزل القرآن على سبعة أحرف: أراد بالحرف اللغة، قال أبو عبيد وأبو العباس: نزل على سبع لغات من لغات العرب[3].

واختلفوا في تحديد هذه اللغات اختلافاً كبيراً، ومما نميل إليه في تفسير هذا الحديث ونراه منسجماً مع موضوعنا ومع معطيات كتب لغات القرآن التي أحصت ما يزيد عن ثلاثين لغة، ماذهب إليه عدد كبير من العلماء، وذلك أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولاينقص، بل المراد السعة والتيسير، وأنه لاحرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب من حيث إن الله تعالى أذن لهم في ذلك.

يقول الشيخ الرافعي: "وإنما جعلها سبعة رمزاً لما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد... وهذا الرمز من ألطف المعاني وأدلها، إذ يجعل القرآن في لغته وتركيبه كأنه حدود وأبواب لكلام العرب كله"[4].

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/ ٤٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجوزي، ص: ١٩، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) لسان العرب (حرف)، دار المعارف. وانظر "لغة القرآن الكريم، د. عبد الجليل عبد الرحيم، ٩٤-٩٥.

(٤) إعجاز القرآن : مبحث الأحرف السبعة، مصطفى صادق الرافعي، ص ٦٧. وانظر: اللهجات العربية في التراث، علم الدين الجندي، ١/ ١٣٥، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨ م .

وأكد ما في العدد من التيسير الشيخ الحداد بن خلف الحسيني قائلاً: ومما يؤيد أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات أن حكمة إتيان القرآن على سبعة أحرف: التخفيف والتيسير على هذه الأمة في التكلم بكتابهم، كما خفف عليهم في شريعتهم... وذلك أنه ﷺ بُعث إلى الخلق كافة وألسنتهم مختلفة، فلو كلفوا كلهم النطق لغة واحدة لشق ذلك عليهم.

النسيج اللغوي للنص القرآني: تواصل وتكامل:

إن الحديث عن لغات القرآن أو عن تاريخ القرآن اللغوي ـ كما سلفت الإشارة ـ حديث حظي بعناية خاصة من لدن جماعة من العلماء ينتسبون إلى تخصصات مختلفة، ويظهر أن هذا النوع من التأليف كان من أول الفنون اللغوية ظهوراً إذ كانت له قيمة على غيره وتفضيل على ما سواه.

فقد ألف في هذا الفن جمعٌ من العلماء إذ تذكر مصادر التراجم أن هشاماً الكلبي (٢٠٤هـ) ألف كتاب "لغات القرآن" كما جاء في الفهرست[١]، وألف الفراء (٢٠٧ هـ) كتاب "لغات القرآن" أشار إليه أبو حيان في تفسيره، كما ألف الأصمعي (٢١٦هـ) كتاب "اللغات في القرآن" ذكره ابن النديم[٢]، وذكر مثله لأبي زيد الأنصاري، والهيثم بن عدي[٣]، وابن دريد ومحمد بن يحيى القطيعي.

وذكر السيوطي في ترجمة أحمد بن علي بن محمد البيهقي (٤٤٥هـ) أنه صنف كتاب "المحيط بلغات القرآن"[٤].

وإنه من المؤسف حقاً أن تكون هذه المصادر مفقودة؛ لأن ضياعها أحدث شرخاً

(١) الفهرست، ابن النديم، ص : ١٠٨، تحقيق رضا المازندراني، دار المسيرة، ١٩٨٨ م.

(٢) البحر المحيط، ٣/١٩٣، والفهرست ٦١ .

(٣) الفهرست ٦١، ٦٧، ٧٣ .

(٤) بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة .